تعاليم سقراط

(تابع ما قبلهُ)

في الواجبات بين الاخوة

قال الفيلسوف مخاطباً احد تلاميذهِ: « أتكون من اولئك الذين يفضلون الثروة على اخوتهم تاسين ان الاولى غير عاقلة وان الاخرين عاقلون · وانت الاولى تحتاج الى حراستي اما الاخرون فحراستنا ؟ انت تعد اخاك ضرراً عليك وتنظر اليهِ كأنهُ يسلبك جانباً من مالك فلماذا لا تنظر بالعين عينها الى سائر مواطنيك الذين يملكون ما لا تملك · فاذا كان خيراً للمرء ان يسكن بقربهم حتى يأمن على ثروة كافية يمتلكها من ان يعيش وحدهُ بثروة طائلة وهو غير آمن عليها فاخلق بهِ ان يهتم بالهُ مع اخوتهِ »

فاجابهُ التلميذ « ولكن اخي يسيء اليَّ قولاً وفعلاً »

— اذا كان لديك كلب جيد للرعاية ثم رأيتهُ ينبح اذا دنوت منهُ أفلا تحاول تهدئتهُ · فلماذا لا تعامل اخاك بهذه المعاملة ؟

— ليس لي من الدهاء ما يكفي لكسر شكيمتهِ · او اخماد نار شراستهِ

— وما الذي تعنيهُ اذاً لو شئت ان تدعى الى وليمة ضحيةٍ ؟

— ابدأ انا قبل غيري باقامة هذه الوليمة ودعوة الناس اليها

— واذا شئت ان يتولى احد اصدقائك شؤونك مدة غيابك ؟

— فاني اقوم بشؤونهِ مدة غيابهِ ايضاً

— اذاً فلا تتعجل من مبادأة اخيك بالحسنى

— ولكني اصغر منهُ وعلى الاكبر ان يبدأ بها

— كلاَّ بل على الاصغر ان يرضخ للاكبر وينهض لقدومهِ فيتقدم لهُ احسن المقاعد

— واذا لم اقلع في ذلك ؟

— انك لو فعلت لظهرت بمظهر رجل الخير نحو اخيك · واعلم ان مثل الاخوين المختلفين مثل اليدين اللتين اوجدتهما الطبيعة للتعاون فقامت احداهما تضيق على الاخرى · او مثل الرجلين اللتين تحاولان الاشتباك بعضهما في بعض فلا تستطيعان المشي · ان الاخوين انما خلقا للمنفعة المشتركة · وفعلهما اشد واقوى من فعل الرجلين اللتين لا تستطيعان الابتعاد كثيراً بعضهما عن بعض · ومن اليدين اللتين لا تعملان معاً الاَّ في الاشياء القريبة بعضها

من بعض . او من العينين اللتين لا تستطيعان النظر الى الامام والوراء معاً . اما الاخوان فيستطيعان التعاون وتبادل الخدمة على مسافة بعيدة منهما (١)

في الواجبات بين الزوجين

لما اراد سقراط تعليم احد تلاميذهِ المسمى كريتو بولس في هذا الموضوع افترض انهُ اخذ هذا التعليم عن رجل اسمهُ اسخوماخس ليلقيهُ عن لسانهِ على تلميذهِ الموما اليهِ وفائدة ذلك كما لا يخفى ان المعلم اذا تكلم بلسان غيرهِ تسلط على العقول اكثر مما لو تكلم بلسانهِ . وفضلاً عن ذلك فانهُ بالقائهِ التعاليم عن الغير لا يجرح السامع بقدر ما كان يجرحهُ لو القاهُ عليهِ من قبلهِ . وقد مثَّل سقراط الزوج في المحاورة الآتية كمعلم وجب عليهِ تعليم امرأتهِ فقال لكريتو بولس « الم تكن امرأتك فتاةً بعد عندما اقترنت بها ولم تكن قد رأت ولا سمعت بعد شيئاً تقريباً » ؟

فاجاب « نعم . هذا صحيح »

فقال « اذاً فلا عجب اذا هي جهلت ما يجب ان تقول وما يجب ان تفعل ثم هل في الناس من تسرّهُ امورك المهمة اكثر من امرأتك » ؟

« فاجاب « كلا »

فقال « وهل في الناس من تحدّث معهُ اقلّ من تحدّثك معها » ؟ (٢)

فاجاب « كلا »

فاتى سقراط باسخوماخس كمثال للمتزوجين فاقامهُ مقام الزوج وجعل يخاطب كريتو بولس بلسانهِ كزوجة لهُ فقال « اذا كنت يا كريتو بولس قد اتخذتك خليلاً لي وفضلتني ذووك على سواك فاختاروني بعلاً لك فذلك لم يكن لاقتسام الفراش بيننا بل ليكون كل منا خير شريك للاخر في تدبير شؤون المنزل والاولاد حتى اذا رزقنا الله بنين في مستقبل الايام نظر حينئذٍ في احسن الطرق لتربيتهم اذ مصلحتنا المشتركة توجب علينا اعداد اهم الوسائط الكافلة لشيخوختنا اما الآن فلدينا هذا المنزل الذي وضع فيهِ كلٌّ منا ماله فاصبح مشتركاً بيننا . على انهُ لا يجب النظر الى ما اتى بهِ احدنا من المال اكثر من الآخر بل الى احسن

---

(١) قال الشاعر

اخاك اخاك ان من لا اخا لهُ كساعٍ الى الهيجا بغير سلاح

(٢) يعني ان العادة جرت حتى في عصرنا هذا بين كثير من المتزوجين ان الرجل قلما يحادث امرأتهُ ويجاذبها اطراف الحديث . وهذا ما نظر اليهِ سقراط فتوخى معالجتهُ

الشريكين منا الذي يأتي بافضل الامور وانفعها

فاجابت المرأة (كريتوبولس) «و بأي شيء استطيع مساعدتك وما الذي استطيع عملهُ وكل شيء قائم بك ؟ وقد قالت لي والدتي ان المطلوب مني ان اكون عاقلة فقط »

فاجاب الرجل : « قد اوصاني والدي بمثل ذلك . غير ان حكمة الرجل والمرأة تقوم بادارة اموالها باحسن ما يمكن وان يعملا على انمائها جهد المستطاع بطرق النزاهة والاستقامة فكري اذاً في اداء الوظيفة التي خصَّها بك الآلهة وايدتها الشريعة كما يجب اذ انها من الاهمية بمكان عظيم الاَّ اذا ازدرى المرءُ بوظيفة ملكة النحل في الخلية . ثم ان من الاعمال ما يصنع في الخلاء كالحراثة والزرع والغرس ولكن متى دخل الحصاد المنزل وجب ان يحفظهُ واحد من اهله و يقوم بالاشغال التي لا يمكن اجراؤها الاَّ فيهِ . فكما ان تربية الاطفال لازمة كذلك تهيئة الاغذية ونسج الملابس بصوف الغنم . ان الله اعد طبيعة المرأة للعناية الداخلية كما اعد طبيعة الرجل للاعمال الخارجية واعدَّ نفس الرجل وجسدهُ لاحتمال البرد والحر والمسافات والحملات وجعل المرأة اضعف منهُ . ولما كان قد وكل اليها امر ارضاع الاطفال فقد اوجد فيها من الرأفة والحنو للذرية الجديدة اكثر من الرجل . وهيأها لحراسة كل ما في المنزل مع علمهِ ان الخوف ليس بالحارس الرديء . فاعطاها اذاً نفساً اشد خوفاً من نفس الرجل . واعلمي ايضاً عز وجل ان الرجل يحتاج احياناً الى دفع الحيف والردى عنهُ في الخارج فقد جعلهُ اجرأ منها . ولما كان الرجل والمرأة قد خلقا غير كاملين كانا من ثمَّ في احتياج بعضهما الى بعض وكان اقترانهما انفع الاشياء وافيدها اذ بهِ يتكامل نقصانهما او بعبارة اخرى يكمّل بعضهما بعضاً . اذاً يجب تأدية ما فرضهُ الاله على كل واحد منا باحسن ما يمكن

« ان ما تقضي بهِ الطبيعة تؤيدهُ الشريعة باتحاد الرجل والمرأة . فكما ان الله يرزقهما اولاداً مشتركين بينهما كذلك الشريعة تحتم عليهما العمل بدأ واحدة في تدبير شؤون المنزل . واعلمي ان الشريعة التي تعدّ الوظيفة التي يخص بها الله كلاً من الجنسين صالحة ومستقيمة . ولا مشاحة انهُ لاَّ شرف للمرأة ان تمكث في دارها من ان تجول في الخارج كما انهُ لاَّ شد عاراً على الرجل ان يحتضر في بيتهِ من ان يهتم بشؤونهِ الخارجية[1]

« ثم ان هناك واجباً آخر يتعلق بك ربما لا يروقك الا وهو العناية بامر من يمرض من خدمك » . فاجابت « الامر بعكس ما تقول فلا شيء احب اليَّ من ذلك اذ ان الخدم الذين

(١) قال الاستاذ غارنيه : ومن هنا يرى القارئ ان سقراط يشير الى وجود شريعة طبيعية سابقة للشرائع المكتوبة . وان الثانية تستمد قوتها من الاولى وهذا من اهم اركان فلسفة الحقوق

اعتني بأمرهم يحفظون لي الجميل ويحبونني اكثر من ذي قبل — الى ان قالت — ولكن المهمة الكبرى انما تتعلق بك . ذلك ان عنايتي وترتيبي لا يجديان نفعاً اذا انت لم تعمل على انماء مالنا » . فاجاب « وما الفائدة اذا اجتهدت في انمائه وليس في المنزل حارسة جيدة . ألا ترين نصيب الذين يجهدون في ملء برميل بلا قعر من التعاسة والشقاء ؟ امّا انتِ فاجعلي مهمتكِ لديكِ ان تصلحي حال من تأتيكِ من النساء اللواتي لا دراية لهنّ بتنزيل الصوف او بسائر اشغال المنزل فتجعلي منهنّ الغزالة الجيدة او الخادمة الامينة . وتكافئي على العمل المتصف بالحكمة والنشاط او تعاقبي على الذنب والخطاء . والذي يبهجك اكثر من ذلك هو انك اذا صرتِ احسن مني واصلح في مستقبل الزمان تصيرينني خادماً لكِ فلا تخشين اذا كبرتِ ان نقل منزلتك في المنزل . وهذا ما يؤكد لكِ ان منزلتك تسمو وتزداد بزيادة عنايتكِ بي وبأولادي بالرغم من تقدمك في السن لان اموال الرجل الحقيقية انما تنمو وتزداد بمحاسن الفضائل لا بمحاسن الوجه »[1] الى ان قال اسخوماخس لزوجته وقد اقترض انها لم ترتب شؤون منزلها كما يجب لانهُ طلب منها شيئاً فلم تجدهُ فاتت اليهِ وجيبتها ينتدى خجلاً لذلك والاسف آخذ منها كل مأخذ « لا تحزني ايتها المرأة واعلمي انهُ اذا كان عدم امكان المرء ان ينتفع بما يملكهُ ضرباً من العوز فلا شك ان حرمان من يفتش عن الشيء ولا يجدهُ اقل بكثير من عدم السعي وراء الشيء غير الموجود . . . » اذاً فلا شيء انفع واجمل من الترتيب

ان نوبة الرقص والغناء عبارة عن جمعية من الرجال . فاذا عمل كل واحد منهم على هواهُ اختل النظام وساء المنظر اما اذا راعوا الترتيب في الخطى والغناء ارتاح المرء الى المشاهدة والاستماع

في الواجبات نحو الوالدين

كان لسقراط امرأة تدعى « كسانثبي » وكانت شرسة الاخلاق بقدر ما كان هو دمثها . ولها معهُ في ادوار حياتهما الزوجية افعال مضحكة ومبكية معاً لا حاجة الى ذكرها هنا . وقد تحمّل غلاظة طبعها وصبر عليها صبر الكرام فكان يعاملها باللين والرفق ويحاول تهذيب اخلاقها وتقويم اعوجاجها جهد المستطاع . وهو لم يزل يعالج تلك الاخلاق الرديئة حتى تمكّن

(١) قال الاستاذ عرنيه : ان الناس ليعجبون عندما يرون سقراط ينادي بالمساواة بين الرجل والمرأة ، يكونها (تصير ينني خادماً لكِ) اذ الواقع في الاذهان ان هذه المساواة انما هي من روح العصر الحاضر وان الاقدمين كانوا يعدون المرأة كالمرء للرجل

من تلطيفها والباسها حلة الحسن والكمال . اما في فلم تكن تكتفي بمعاملة بعلها بتلك المعاملة السيئة بل كانت تعامل بها اولادها ايضاً على السواء . الا ان ولدها الاكبر لم يكن فيه صبر والدته فكان يحتدم غيظاً ووالدته يطيب خاطره ويذكره بواجب البنين نحو الوالدين . قال له ذات يوم وقد اتاه شاكياً من امه . « يا بني ان الاب يعتني بنفسه من اجل اولاده ويفكر في جمع ميراث لهم قبل ظهورهم في عالم الوجود . اما الام فتحمل حملاً ثقيلاً مدة طويلة من الزمان ولا تستريح منه الا بكل عناء وشدة . وهي ترضع الولد وتبذل له حنوها قبل معرفته اياها وبلا مقابل احسان منه . وتحاول سبقه في رغائبه ومطالبه . وتسهر عليه الليل والنهار . ونقلق من اجله غير سائلة عن العرفان او الجميل الذي تناله مقابل متاعبها . يا بني ان الوالدين لا يكتفون بدفع الغذاء الجسدي الى ابنائهم بل هم يقدمون لهم ايضاً الغذاء العقلي واذا كان لديهم علم نافع في هذه الحياة الدنيا فهم يدفعون اليهم هذا العلم . او عرفوا معلماً امهر منهم في احد العلوم ارسلوا اليه اولادهم ولم يدخروا في سبيله مالاً ولا عناية حباً براحتهم وسعادتهم . الا تفتكر بجميع ما قاسته امك منك قولاً وفعلاً منذ ولادتك حتى اليوم وبالمتاعب التي سببتها لها والاكدار التي تحملتها في امراضك ؟ هل يشق عليك احتمال ما تقوله لك اكثر من احتمال المخلين للشتائم التي يتبادلونها على الملعب ؟ يا بني انت تعلم ان والدتك لا تتمنى ان تكون في حرز من الشر بل تتمنى لك الخير اكثر من كل انسان . واذا مرضت تبذل ما في وسعها لشفائك وردّ صحتك اليك . وتعنى بكل لوازمك واحتياجاتك . وتستمطر عليك في صلواتها النعم الالهية . فاذا لم تكن قادراً على احتمال مثل هذه الام فلست اذاً قادراً على احتمال خيرك . ان الجمهورية لا تعاقب على جحد المعروف الا اذا كان ذلك الجحد من البنين الى الوالدين وهي تحرم الولد الذي يرتكب مثل هذا الذنب من منصب الولاية لاقتناعها بانه يدنّس القرابين التي تقدم باسم البلد ولا يستطيع اتيان عمل طيب وعادل . يا بني اذا كنت عاقلاً فعليك بالتضرع الى الآلهة كي يغفروا لك سيئاتك لوالدتك وحتى لا يمنعوا عنك خيراتهم اذا رأوا منك نكران الجميل . وحذار ان يكتشف الناس قلبك الجاحد فتفقد الشرف وتصبح بلا خلان »[1]

الاسكندرية سليم عوّاد

---

(١) هذا ما قال سقراط لابنه فيما يجب على الولد نحو والديه . وقد قال الاستاذ غارنيه في كتابه (الآداب عند الاقدمين) انه يصعب وجود خطبة في الازمنة الحديثة اشد تأثيراً من كلام سقراط في هذا المعنى اذ ان هذا الفيلسوف ينبه بديهيو الولد الجاحد بنقمة الآلهة عليه قد تقدم على الازمنة المتأخرة واسند الاهب الى الدين كما ترى